

بعد أن صار من معالم مدينة زيورخ 163-
نموذج. قصص نجاح عرب سويسرا قليلة ولكنها أغرب من الخيال
محمد منصور العالم المصري

Prof. Dr. Muhammad Mansour

ثابت عيد: بقلم

آياته سبحانه هل هي. مجتمعات منحة متخلفة أحياناً عن حكمة البارئ تعالى من خلق مواهب فذة خارقة في أتسائل
صحراء خلق أزهار زاهية في من جنس إشارات الإلهية المتمثلة في تعجز عقولنا عن فهمها واستيعابها؟ وهل هي التي
جرداء لا حياة فيها ولا ماء؟
حيث أشار إلى سياق محاولة تفسيره لعبقريته خالد بن الوليد، عباس محمود العقاد في هذه الظاهرة المفكر المصري شغلت
إخراج عبقريته خالد كان ثمنه أكثر من شقيق له متخلف عقلياً أنّ
صار عدد من بحوث الإسلام،-العبقريات من عالما العربي وتلاشت المواهب، وندرت القرائح، يا ترى نصبت فهل
على أصابع اليد؟ يُعدّ يكاد تقدّمهم إلى الإنسانية من علماء فطاحل أفاذ ضئيلاً
الجهل، وتفشي ظل انتشار الأمية، في. العلماء يغيب العلم ويختفي عصور الجهل والانحطاط، ففي: بسيطة جداً الإجابة
. يستحيل خلق البيئة المناسبة لتفريخ العلماء وتوليد العبقريات على العلم والثقافة بالمال اللازم، والصنّ وتخلف التعليم،
وهو ما أدى ليس فقط إلى ندرة العلماء المجتمعات المتخلفة تعيش حالة خصام ونفور مع العلم والمعرفة: باختصار
يظهر منهم هناك بالغبية والإحباط بل أيضاً إلى شعور من هناك،
يا ترى فمن هو. محمد منصور قصة نجاح العالم المصري يتأمل ببال المرء عندما أن تجول هذه الأسئلة والخواطر لا بدّ كل
أشهر جامعة سويسرية على الإطلاق؟ سطع نجمه في هذا العالم النابغة الذي
تمكن بموهبته ومجهوده من الوصول إلى مكانة أستاذ كرسي سويسرا الذي المسلم الوحيد في-هو العربي منصور محمد
جامعة زيورخ العالم وهي إحدى أشهر الجامعات التكنولوجية في ذلك في لأحد أهم علوم عصرنا وهو التحكم الآلي،
. ألف نسمة ٣٥٠ أكثر من يبلغ سويسرا عدد مسلمي فالأرقام تقول إنّ. ETH الفيدرالية للعلوم التكنولوجية المعروفة بالـ
من تدهور وانحطاط الإسلام-عالمنا العربي يعكس ما وصلت إليه الأمور في ألف نسمة ٣٥٠ فرد واحد من ونبوغ
مجتمع يشعر بالغبية في يجعله سويسرا في يعيش فكونه مصرياً. عالما هذا يشعر بغبية مزدوجة في العالم محمد منصور
ومن . العلم والعمل والأخلاق: الإسلام هو يعتبر أنّ يجمع بينهما حيث منصوراً حين أنّ في اهتم بالعلم وأهم الدين،
فصاروا لأتهم أهملوا الدين والعلم جميعاً، المسلمين،-جنسه من العرب يشعر منصور بالغبية تجاه بني ناحية أخرى
هذه يحتاج تقديمه إلى كلّ ولكن من هو هذا العالم النابغة الذي. يأخذون من الأمور إلا قشورها مقلدين تابعين سطحيين لا
المقدمات الطويلة؟
كان . قرية العبيدية بمحافظة دمياط بمصر م في ١٩٢٨ الثلاثين من شهر أغسطس سنة محمد عبد الرحمن منصور في وُلد
«مجانية التعليم» يطلقون عليه اليوم يكن هناك ما لم. عصرنا هذا ذلك الوقت أفضل منه في في مصر نظام التعليم في
يمهل لم عندما التحق محمد منصور بمدرسة دمياط الابتدائية، يُعفى منها إلا المتفوقون بل كان التعليم بمصاريف لا
عليه الله ليصقل ما من يعمل بعزيمة واجتهاد، بل شرع منذ اللحظة الأولى يُشعرهم بنبوغه وتفوقه، مدرسيه طويلا حتى
هذا «مجانية التفوق» حتى حصل على تعليمه الابتدائي، يجتاز السنة الأولى في فما كاد. به من موهبة فذة وعقلية فريدة
فمجانية التفوق حصل . يتراجع لحظة واحدة طوال حياته منذ ذلك الوقت ظهر عليه منذ نعومة أظفاره لم التفوق الذي
جميع سنوات دراسته عليها في
. مسابقة التوجيهية شعبة الرياضيات مع جائزة التفوق في كان محمد منصور هو الأول على القطر المصري م ١٩٤٦ سنة
م حصل عالما الكبير على بكالوريوس الهندسة الكهربائية مع مرتبة الشرف الأولى من جامعة ١٩٥١ سنة وفي
وبعد ذلك بسنتين حصل على الماجستير من الجامعة نفسها. الأسكندرية
م بالجامعة الفيدرالية للعلوم التكنولوجية في ١٩٦١ السنون بمشاكلها وهموما على محمد منصور حتى التحق سنة ومررت
ونظراً لطرافة قصة اكتشاف السويصريين . طريقه إلى العالمية يشقّ وهنا بدأ منصور. ETH زيورخ المعروفة بالـ
مجتمعاتنا ليحتدوا بها فإدنا نوجزها للقاريء للكريم لعلها تلهم الأجيال الشابة في لعبقريته،
حضور يتمكن محمد منصور من الانتظام في لم المجتمع السويصري، مشاغله للتأقلم مع حياته الجديدة في خضم في
فلما . فاضطر إلى اقتناء ملخصات لمادة الرياضيات. ETH جامعة الـ المحاضرات اللازمة لاجتياز امتحان القبول في
فذهب إلى الأستاذ المؤلف وكان أشهر أستاذ رياضيات في. اكتشف احتواءها على بعض الأخطاء عكف على دراستها،
يعرف شيئاً عن ولا كان هذا الأستاذ السويصري يعرف ذلك، يكن منصوراً لم ولكن. ذلك الوقت سويسرا برمتها في
عالما الشاب، استقبال الأستاذ السويصري. يتسم اللقاء الأول بالحذر والترقب أن فكان من الطبيعي. عبقريته منصور
العالم الشيء الأول هو أنّ: هنا وهنا بالضبط حدث شينان رهيبان. تعليق أو تعقيب أي يبدي دون أن واستمع إليه باهتمام،
والشيء . تطوير العلم الإنساني اكتشف بحسه المرهف أنّه أمام عبقريته رياضية شابة سيكون لها شأنها في السويصري
حياته العلمية، بالنسبة لمنصور بداية مرحلة جديدة في يعني كان زيورخ، وخاصة أنّه تم في هذا الاكتشاف، هو أنّ الثاني
تطوير العلم الحديث الجاد ومشاركة مشاهير علماء العالم في البحث العلمي مرحلة الدخول في

كان سعيدًا لاكتشافه عبقرية . غامرة بسعادة بالغة ودهشة الأول بمجد منصور شعر أستاذ الرياضيات السويسري لقائه في من من شمال أفريقيا، غير المتوقع من الجنوب المتخلف، صاحب هذه العبقرية قد جاءه على وكان مندهشًا لأنَّ جديدة، فيما دهشة العالم السويسري لأنَّ يلاحظ محمد منصور شيئًا منها، هذه المشاعر المتوهجة والأحاسيس المتأججة لم كل! مصر يأتيه طالب ثم سويسرا برمتها، يكون هو أشهر أستاذ رياضيات في فكيف. يبدو كانت شديدة لدرجة أعجزته عن الكلام يحتاج استيعابه غير عادي يحصل حتى على درجة الدكتوراة ويصلح له! إنَّه شيء شاب من إحدى الدول المتخلفة لم وهضمه إلى بعض الوقت

في الأشهر الخوض خضم إحساسه بالنشوة والسعادة من التقاء هذه العبقرية الجبارة قرّر عالم الرياضيات السويسري في. واختار امتحان القبول لخوض اكتشافه هذا. بهدف اكتشاف حدود عبقريته وأبعادها محمد منصور، عالم يتوقعها مطلقًا، يكن منصور موقعة لم. وبين هذا الأستاذ الرهيب الامتحان حدثت موقعة عنيفة بين منصور العبقرى عند يُفاجأ بأستاذه فإذا به مادة الرياضيات، موضوعات معينة في نفسه ببساطة لاجتياز امتحان قبول في لأنَّه كان قد أعدَّ أسئلة لا علاقة لها بموضوعات الامتحان، ويقوم بإطلاق وابلا من الأسئلة عليه، موضوعات الامتحان جانبًا، يُفصي المعادلات الرياضية ولكنها جميعا في

الغالب في وكانت إجاباته تأتي بشجاعة، وردّ ولكنّه صمد ببسالة. منصور من هذا القصف المكثف بالمدفعية الثقيلة ذُهل لقد . يحتاج إلى بعض الوقت لمراجعة إجاباته للتأكد من صحتها بحيث كان الأستاذ نفسه أسرع من طقات أستاذه، الأعم للكلمة كانت موقعة حربية عنيفة بالمعنى الحقيقي

يحصل ولو على درجة يدعو ربه أن منصور. وخرج أستاذه سعيدًا منتشيًا منصور من هذه المعركة منهوكا مرهقا، خرج مادة يصدق أنَّهُ عثر على عقلية جبارة شابة في يكاد لا وأستاذه حياته، مثله في ير لم هذا الامتحان العسير الذي مقبول في كيفية ينتقل بسرعة من النشوة والذهول إلى التخطيط والتفكير في والثاني يرتجف خوفًا من الرسوب، الأول. الرياضيات الاستفاضة من هذه العبقرية الجديدة

وتسارعت ! مادة الرياضيات يصدق منصور نفسه حينما علم أنّه حصل على الدرجة النهائية في ظهرت النتيجة لم عندما وكان له سطوة ونفوذ فقام أستاذ الرياضيات هذا. واتخذت القرارات المصيرية بالنسبة لمستقبل منصور العلمي الأحداث، : غموض لا لبس فيها ولا وأعطاه تعليمات واضحة، بالاتصال بالأستاذ المشرف على أطروحة منصور، ETH الـ في وهكذا كان!! «. منك هذا الولد يفلت إياك أن»

حصل منصور على شهادة الدكتوراة بتفوق ونال الميدالية الفضية للجامعة الفيدرالية للعلوم التكنولوجية الـ م ١٩٦٣ سنة حيث شغل هذا المنصب حتى سنة ETH الـ في ومديرًا لمعهد التحكم الآلي م عُيّن أستاذ كرسي ١٩٦٨ سنة وفي. ETH ١٩٩٣ م

اللجنة المشرفة على فقد ترأس. م ١٩٦٨ سنة ETH الـ في منصور إلى القمة بدأ منذ تعيينه أستاذًا للتحكم الآلي صعود من وترأس مجلس إدارة الجمعية السويسرية للتحكم الآلي. م ١٩٧٨ م حتى ١٩٧٠ معهد بحوث العمليات زيورخ من وترأس . م ١٩٧٢ باريس سنة في الخامس للتحكم الآلي المؤتمر العالمي وترأس وفد سويسرا في. م ١٩٨٥ م حتى ١٩٧٩ المؤتمر وترأس وفد سويسرا في. م ١٩٧٥ بوسطن سنة في السادس للتحكم الآلي المؤتمر العالمي وفد سويسرا في في الثامن للتحكم الآلي المؤتمر العالمي وترأس وفد سويسرا في. م ١٩٧٨ سنة هلسنكي في السابع للتحكم الآلي العالمي م. ١٩٨١ اليابان سنة

الصناعة سنة الرابع لاستعمال الحاسبات الألكترونية في فترأس المؤتمر الدولي عالميًا، إليه الأنظار ما لفت وسرعان م في ١٩٧٩ التصميم سنة الأول لاستعمال الحاسبات الألكترونية في ثم ترأس المؤتمر الدولي. سويسرا م في ١٩٧٤ م ترأس المؤتمر ١٩٨٨ سنة وفي. زيورخ م في ١٩٨٦ النظم الكبيرة سنة للتحكم في ترأس المؤتمر الدولي تم. سويسرا م في ١٩٩٢ سنة Robust Control للتحكم في زيورخ النظم الميكانيكية في للتحكم في الدولي العام نفسه أيضًا وفي. م ١٩٩٢ شيكاغو سنة في Sampled data systems للتحكم في زيورخ أوروا في في لأساتذة التحكم الآلي ترأس المؤتمر الدولي ووصولًا إلى اليابان وكوريا بداية من الولايات المتحدة وكندا، جميع دول العالم المتقدم، فقد ألقاها في أمّا المحاضرات، مرورًا بسائر دول أوروبا الغربية والصين،

. أن تقابل الدول المتقدمة شرقًا وغربًا جهود عالمنا الكبير وإنجازاته وإسهاماته العلمية بالتقدير والتكريم من البيهبي كان الأولى . يعتز منصور بجائزتين اثنتين بصورة خاصة بحصدها حصداً منذ طفولته، راح ومن الكم الهائل من الجوائز التي والجائزة الثانية كانت عبارة عن تعيينه . م ١٩٤٢ وحصل عليها من مدرسة دمياط الثانوية سنة « جائزة الأخلاق » هي اعتزازه وسرّ. زيورخ في ETH الـ بعد تركه الخدمة في أي م، ١٩٩٥ طوكيو سنة الجامعة الهندسية في في أستاذ كرسي شغلها لأوقات يتعاقبون في حيث هذه الوظيفة مخصصة للرواد فقط على مستوى العالم، بهذه الجائزة الأخيرة هو أن فكان اختياره لشغلها أكبر تكريم له. قصيرة

بيده عدد من الطلبة الصينيين حيث تتلمذ على طورها منصور مع الصين، الإشارة هنا إلى العلاقة الوثيقة التي تجدر شغها من ذلك مثلًا رئيس الجامعة الصينية-الألمانية في. الصين شغل بعضهم فيما بعد مناصب رفيعة في ثم حصل بعدها بسنة . م ١٩٨٦ الصين الدكتوراة الفخرية سنة بفضل علمه منحتة جامعة جاتسو التكنولوجية في اعترافًا الصين أيضًا في واحدة على دكتوراة فخرية أخرى من جامعة جواتشي

إليها نخبة كبيرة من مشاهير أقامت له الجامعة حفلة تكريمية كبيرة دُعي، ETH، الـ حان موعد انتهاء خدمته في حينما ذكر فيها أن الأمريكيين محاضرة عن حياة منصور وأعماله، ألقى فيها أستاذ أمريكي - العلماء من مختلف أنحاء العالم! «هل تعرف البروفيسور محمد منصور؟: «سألوه كلما جاءهم أحد من زيورخ، شخصية كامبريدج بانجلترا باختياره ضمن ألفي في حصل عالماً الكبير على شهادة من مركز السير الدولي مؤخرًا ميدان التحكم مع الإشارة إلى إسهاماته الفريدة في القرن العشرين، علمية دولية متميزة تركت بصماتها على الإنسانية في واستخداماته الآلي
برغم أنه المحاضرات وينظم المؤتمرات الدولية وينال الجوائز العالمية، يبحث ويكتب ويلقي العالم محمد منصور مازال لقد : «يقول مازحًا ذلك الوقت كان في. م ١٩٩٣ جامعة زيورخ الفيدرالية للعلوم التكنولوجية منذ سنة ترك الخدمة في عالماً العربي قدرها في يعرف ويا له من عبقرية لا يالها من قصة نجاح باهرة،! «للبحث العلمي تركت الخدمة لأتفرغ الناس من إلا قليل»